

بشائر الإسلام
وتقدمه
نشوء الإسلام وسبيل العرب إلى المدنية
بقلم
إبراهيم البارونى
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
سلطنة عمان - السيب

بشائر الإسلام وتقدمه

بشائر الإسلام وتقدمه

(نشوء الإسلام وسبيل العرب إلى المدينة)

بقلم

الأستاذ / إبراهيم الباروني

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٦٦٩

t-k-aldhamri@hotmail.com

ص ب: ٢ السيب. الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عمان

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م
رقم الإيداع
٢٠١٠/٥٣٩٣

نشر وتوزيع
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٤٦٦٩
t-k-aldhamri@hotmail.com
ص ب: ٢ السيب. الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عمان

قال الله عزّ وجلّ:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾

آل عمران: ١٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي نور قلوبنا بالقرآن وأكرمنا بالإسلام وجعلنا من أتباع خير الأنام وبدر التمام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام..

أما بعد

فيسرني ويسعدني أن أقدم إليكم هذا الكتيب والذي يتميز عن غيره بصدق عباراته والتي جاءت لتبين بأن بشائر الإسلام وتقدمه هو مسؤولينا نحن المسلمين، وعلينا أن نرجع لما كان عليه الرسول الكريم بصدق وإخلاص.

هذا وسوف نحاول بكل صدق وأمانة نشر مؤلفات العائلة البارونية وعلى رأسهم الشيخ المجاهد والزعيم الوطني المسلم سليمان باشا الباروني، ومن أهم ما سيطبع عنه مؤلفاته محققة وكذلك جريدة الأسد وديوانه الشعري وسنحاول تتبع مقالاته في الصحف والمجلات

لتجميعها ونشرها. وسنطبع مـــا ألـــف حولـــه قـــدر المستطاع.

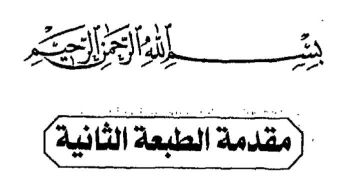
لذا ندعوا كل الأخوة والأصدقاء مساعدتنا لتجميع ما ألفت العائلة البارونية وما ألف حول المجاهد سليمان الباروني.

وكذلك مؤلفات وإبراهيم الباروني إن عثر على شيء منها إن شاء الله تعالى ليعم نفعها وتستفيد منها الأمـــة الإسلامية.والله الموفق لما يحب ويرضى

طالب بن خلفان الضامري

المقدمة





مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة على قدوتنا المثلى رسول الله ﷺ

وبعد:

فقد بلغت اليوم مجلتنا التمدن الإسلامي عامها الثامن والثلاثين وكانت ملتقى أقلام كتاب وأفذاذ وقادة من مختلف أقطار الأرض من أبناء العروبة والإسلام منذ جعلتها جمعية التمدن الإسلامي في دمشق لسان دعوة في عصر المدينة تترجم عن مبادئ الإسلام وتدعو دعوتها

(أبناء العروبة والإسلام خاصة وأبناء الإنسانية عامة) إلى (تمدن إسلامي) يرقى بالإنسان وإنسانيته في معا رج المدينة الصحيحة حتى تقوم الساعة، وتتحقق ـ من وجود إنسان هذه الأرض ـ الغاية القصوى التي

أعلنها تعالى بقولـــه﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾[١] بعد تحقيق القصد مما أعد الله له ليكون خليفته في أرضه وخوله(بالعلم والقدرة والإرادة) أوســـع السلطان ليبتليه ويختبره وينقلب به إلى مرحلة الخلود في آخرته حيث يجزى بعمله ويرقى الإنسان الفالح رقيـــه الأكمل.

وقد عرفت مجلتنا من أولى سنواتها الكاتب الباحث الأستاذ إبراهيم الباروني(وكان نزل بغداد) يبحث قـــيم تنـــاول تـــاريخ العـــرب المخضـــرم بـــين الجاهليـــة والإسلام،لينتقل بهم إلى حاضرهم ويستعرض بهم —بهذه النظرة الشاملة من العظات والعبر — ما ينير لهم ســـبيل نهضتهم؛ وعلى هذا قسم بحثه إلى قسمين، وكـــان في مرحلة من مراحل الزمن مستبشرا فكتب بهذه الروح:

---

١) يونس : ٢٤

القسم الأول(بشائر الإسلام) حتى ص(٣٨) وأتبعه بالقسم الثاني(في تقدمه) وكانت طريقة بحثه على ما أستطرد له معتذرا قائلا ص(٣٩):(أيفاء تاريخ الإسلام حقه من البحث والتحليل والنقد يستغرق المجلدات، فإذا عرض كاتب لبعض نواحيه في مجلة شهرية.....لا يمكن أن يكون ذلك إلا على سبيل:(إعطاء فكرة)، تكون نواة صالحة لبحث مستفيض يعنى به أرباب الاختصاص، فيكون أوفى بياناً، وأوضح فكرةً وحسب القراء الأفاضل من هذه الفصول، سداد من عوز وغذاء للروح)

وقد وفق الأستاذ الباروني –(في استعراضه الموجز وبيانه المشرق) – إلى نظرات دقيقة بمثل ما كشف عنه ص(٢١) وما بعدها من عناصر الطبيعة العربية ولغتها حتى اصطفاهم الله بذلك لحمل رسالته الهادية إلى الناس كافة مبشرين ومنذرين.

وقد كتب ما كتبه بروح المسلم المجاهد، وهو ثمرة من بيت كريم عرف بجهاده وكان والده (**سليمان باشا الباروني**) في طليعة أعلام العروبة والإسلام في عصره جهاداً وقوة شخصية. ورضع الابن لبن هذه التربية المثلى، فجاء ما كتبه ممثلا لهذه الروح المؤمنة المجاهدة التي تتطلع في بحثها إلى نهضة أمة وتقدمها فتبصرها ما أبصرت من عظات التاريخ بأحداثه وعبره وهو يستخلص منها السنن الاجتماعية بمثل ما ترى ص(١٤) من مقدمته في نشوء الأديان عامة والإسلام خاصة والحكمة في جعل هذه الرسالة الإنسانية في أمة العرب وبمثل هذا قال المسلمون بأن المسيح عليه السلام حين يترل في أخر الأزمان إنما يتبع شريعة القران، ويصلي بصلاة المسلمين وأنه بذلك(لعلم الساعة) ومن أشراطها المرتقبة.

أن هداية الله تعالى للخلق قد كتبها علـــى نفســه وأنجز وعده برسالته في كل أمة وختمها بـــأن أرســـل خاتم رسله إلى الناس كافة؛ وبهذا بشـــر الرســـول ﷺ أتباعه أيام الفتنة المظلمة بين يدي الساعة قائلا:(**لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم خـــذلان من خذلهم حتى يأتي وعد الله**)وتقوم الساعة.

وجملة القول في كاتبنا ورسالته أنها على إيجازهـــا عميقة النظر تضم من البحوث شتاتا أوضح منها مواطن النظر والعظة والاعتبار فهي رسالة إيمان بدعوتها،رسالة تحقيق وتاريخ واجتماع ببحوث ونظراتها.

أنها رسالة مسلم أخلص النصـــح لنفســه ودينـــه وعروبته وإسلامه أخلاصة النصـــح لأبنـــاء الإنســـانية بدعوته إلى(التمدن الإسلامي) الذي يحقـــق للإنســـان أكمل وجوده للإنسانية وأشرف رسالة وأمثل حضارة تقوم على أفضل حياة واصدق نظر وأكرم دعوة.

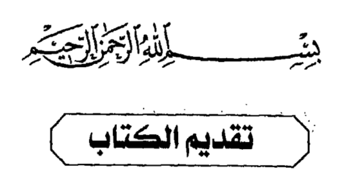
ونحن إذ نجدد نشر هذه الرسالة الأولى من مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي في دمشق، إنما نعلن عن ثبات الخطة والدعوة، كما نجدد العهد بكاتب وفضله، فلعل ذلك يبعث في نفسه نشاطا يعتصر به (بعد هذه السنون الطويلة) ما أزداد من معرفة وخبرة تهدى الأمة وتنفع الإنسانية. والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

دمشق: رمضان المبارك ١٣٩٢هـ

تشرين الأول ١٩٧٢م

المحامى: محمد بن كمال الخطيب (الحسنى)

مدير مجلة التمدن الإسلامي



تقديم الكتاب

حمدا لله، وصلاة وسلاما على رسوله العربي العـــالمي وأخوانه وتابعيه.

وبعد، فهذه باكورة أعمال لجنة النشر لجماعة التمدن الإسلامي، أهداها الأستاذ الكاتب الباحث إبراهيم الباروني نزيل بغداد، فرأينا أن تنشر في مجلتنا التمدن الإسلامي، ثم تفرد في كتيب خاص، لما ننتظر له من أثر نافع يرجومثلـــه كل من يقرأ لمؤلفه السيد الباروني، ما تدبجه براعتـــه مـــن نفيس البحوث،في المجلة المذكورة أوغيرها.

وحسبنا أن نلفت نظر القراء الأفاضـــل، إلى قـــدرة تتجلى في بحث المؤلف،وتحقيق يبدو في ثقافته، ونظر ناقد يظهر في كل ما يأتي عليه. أضف إلى ذلك إتقانه تقســـيم

البحث الذي يكتب فيه، بحيث تحدد أفكــاره، وتــدرك نتائجه واحدة فواحدة لا يختلط بعضها ببعض بقدرة على معالجة البحوث لا تذهب به بعيداً عن موضوعاتها وأن دق تأمله، وطال استقصاؤه، وتنوع ما ألجأه بحثه اليقظ إليــه. كل ذلك بلغة سليمة،وأسلوب علمي صريح،وإيمان قــوى ثابت، ينير له ما بين يديه،فلا يضل ولا يزل.

ولا جرم أن كتابة الســيرة النبويــة وبيــان مزايــا الإسلام،بمثل هذه الطريقة المختارة؛ليعد أن بشائر للإسلام والمسلمين والبشرية، بعرضهما آثار النبوة العالمية السمحة ن عرضا يجعلها تبدو للعيان في هذا العصر واضحة؛ فلا تبقى في نظر كثير من أبنائه نبأ تاريخياً فحسب، بل تصبح أيضا حادثا دائم الجدة، يعمل عمله المجيد لنصرة الحق وســلام الإنسانية وسعادة العالم.وبذلك يصبح إيمان المسلم إيمــان علم،لا إيمان تقليد،ويسجل تاريخ الإسلام عهدا جديــدا لأبنائه،يبسم فيه أمسهم الزاهر البــاكي لغــدهم التقــى

الحر،فتبتسم الإنسانية لمن تراهم بحق تلاميذ الرســول ﷺ المنقذ العربي العالمي —صلى الله عليه وعلى أله ومتبعي سننه الخالد.

لنا ببشائر الإسلام أمــل عظــيم نرجوبــه تقــدماً للمسلمين،وقد أخذت تبدوطلائع عهدهم الجديد.

دمشق: ١٠/٧/١٣٥٦.

احمد مظهر العظمة

رئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

بشائر الإسلام ورسالة النبي عليه الصلاة والسلام

لا يزال فجرالإسلام وضحاه بين أحداث التاريخ الكبرى عديمي النظر من وجهتين: وجهة النشوء،ووجهة الارتقاء. فأكبر أعداء الإسلام لا يستطيع أن يكتم دهشته من تلك البداية المؤيسة لفجر الإسلام.

كانت بدايته بفرد،ثم بأفراد يعدون على الأصابع، استجابوا لدعوته، وأمنوا في السر برسالته، ما انفكوا طيلة عشرة أعوام: يحملون الأذى، ويصيبهم المنكر، ويمسهم أشد البلاء في سبيل الله حتى فر أكثرهم هربا بدينهم ونجاة بأنفسهم إلى أبعد الأقطار.

وبمثل تلك البداية المؤيسة التي بدأ بها رسول الله ﷺ عهد رسالته، بدأ العرب المسلمون من بعده عهد فتوحهم في سبيل دعوتهم إلى العالم فيما وراء الجزيرة.

وكما نصر الله نبيه، فدانت له في حياته العرب كافة وأظهر دينه على الأديان جميعا؛ كذلك أيد بالنصر خلفاءه من بعده فدانت لهم الأرض من المشرق إلى المغرب في أقل من ثلث قرن

هذا،وكلما أمعن أعداء الإسلام طعنا في صفات المسلمين، ودين المسلمين، ونبي المسلمين؛ كان ذلك أدعى إلى الدهشة من جني ذلك النبت الضئيل الذي يعيبون. وما هوفي الحق إلا دوحة أصلها ثابت وفرعها في السماء، أتت أكلها بأذن ربها ن وامتدت جذورها في الأرض، فازدادت على الأيام نماء وقوة، شأن البذرة الصالحة في التربة الخصبة. ثم شاء الله أن تجفوالسماء وتنضب الأرض، فلا يظل من تلك الدوحة السامقة، المثمرة المورقة سوى الجذور الضاربة في أعماق الأرض، والجذع القائم تعبث به فأس الحطاب. ولعل الله قد أذن

لذلك الجذع القائم من تلك الدوحة أن يحيا ويخضر، ويورق ويثمر، فيعود نضرا كما كان: يمد الناس بالطيبات ويبعث فيهم بهجة الحياة.

وإذا كان إعجاب المسلم المؤمن بتلك الصفحة المشرقة من التاريخ صادراً، في الأكثر عن إيمان وتسليم؛ فإعجاب كل مفكر حر بتلك الصفحة أنما يصدر عن اقتناع بجلال الواقع. أما والمسلمون اليوم أصبحوا هدفاً لنصال الطاعنين في دينهم؛ يلتمسون فيه الآفات ويحيطونه بالشبهات، فمن الصلاح أن يتدارسوا بمناسبة الذكرى المباركة لمولده عليه الصلاة والسلام، هذه الصفحة المجيدة من تاريخهم نشوءا وارتقاء، عن إيمان وتسليم صادر عن(أدراك)صحيح لجلال هذا الواقع؛ فيأخذوا من نورها قبساً يهديهم سواء السبيل ويكشف عنهم وحشة الطريق.

وها نحن أولاً نبدأ فنستعرض ما أحاط الخطوة الأولى من نشوء الإسلام وظهور دعوته من الظروف والأحوال التي مهدت له أووقفت في سبيله.

كلمة في نشوء الأديان

من سنن الله في خلقه أن ربط الأسباب بمسبباته،والنتائج بمقدمته،فلا يحدث حادث ألا في أوانه،بدواعي تتهيأ له في زمانه ومكانه.فمن الملاحظات الثابتة في تاريخ الأديان،أن ظهور دين من الأديان كان دائما يسبق بأشراط وعلامات،أوقل بظروف وأحوال اجتماعية تستلزم وتبرر ظهور دلك الدين الجديد الذي يكون من شأنه قبل كل شيء أن يهدم صرح الباطل القائم ليقيم مكانه صرحا من الحق ثابت الدعائم.أما أنها ظروف وأحوال(تستلزم) ظهور ذلك الدين،فلما يطرأ على أمر الناس من فساد واضطراب لا يصلحه ألا نبي مؤيد بوحي الله،وإما أنها(تبرر ٩ ظهور ذلك الدين،فلأن الدين عند الله هوالسلام؛ وأنما تقدمت الأنبياء والرسل صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام تمهيدا بين يديه،تبعا لسنة التدرج التي فرضها الله في خلقه.ولو لم

يتمهد الطريق للإسلام بمن تقدم من الأنبياء والرسل، لشق على الناس حمل تكاليفه،والعمل بأوامره التي لا تخلومن شدة وصرامة، وهم في غمرة الوثنية وظلمات الجهل. ففساد العالم هوفي كل زمان داعية لظهور علائم النقمة والغضب من الخالق على خلقه،ليأخذهم ببعض ذنوبهم ولكن من بعد الإنذار والأعذار:"﴿ ..... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾الإسراء١٥.

وقد كان انحراف الناس على كر الأيام وتوالى العصور عن دين موسى والمسيح عليهما السلام مع هيؤهم التهيؤ الكافي لتفهم مبادئ الإسلام والعمل بها، داعيا لمجيء خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام. ليتم للناس دينهم الذي ارتضى الله لهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

كذلك لم يكن مجيء الإسلام في العرب مصادفة فجائية تنؤ بعبئها كواهل العرب ومواهب العرب، بل

كان أشبه بالثمرة الجنية في أوإنها، كل ما يتقدمها إنما هوتمهيد مقصود لبروزها وأعداد مقصود لنضجها.

أما تلك الجفوة والمقاومة التي لفيها الإسلام في مهده، فهي أشبه بإنكار صاحب الوليمة لضيفه المجهول، فما أن تعارفا حتى تصافحا، وحل الصفاء مكان الجفاء. هذه الظروف والأحوال الاجتماعية التي تقدمت بين يدي الإسلام والتي هيأت العرب لحمل رسالة الإسلام،والتي حددت خصائص الإسلام تنحصر فيما يلي:

(أ)- حاجة العالم إلى الإصلاح؛

(ب)-خصائص الأمة المختارة لهذا الإصلاح

(ج)- إعداد العرب لحمل رسالة الإسلام.

(د)- الدهشة الأولى لظهور السلام.

وأليك بيان كل مرحلة من المراحل في شيء من التفصيل المجمل:

حاجة العالم إلى الإصلاح

مرجع الأديان الثلاثة الكبرى هوملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وأساسها التوحيد والبعث والنبوة. على هذا الأساس قامت الشرائع السماوية، مضيفة إلى ذلك،على سنة التدريج،من الأوامر والنواهي ما فيه صلاح الناس وسعادتهم مناسبا لمداركهم وعقولهم.

ولقد أحاطت برسالة موسى عليه السلام أحوال خاصة اقتضت نزول التوراة بتحريم كثير من الطيبات على بني إسرائيل، تأديبا لهم وغضبا من الله عليهم،حتى يتوبوا ويتوبوا إلى أمر الله. فلم يكن مجيء المسيح عليه السلام بعد ذلك ألا امتحانا جديدا لإيمانهم. وإيذانا برضى الله عن المؤمنين.

وقد كان من أمرهم معه ما هومعروف حتى رفعه الله إليه فمنهم من كفر ومنهم من أمن فأما الذين كفروا فضربت عليهما الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله إلى يوم القيامة.

على أن المسيحية لم تلبث كذلك أن تباعدت عن أصولها المترلة لأسباب أهمها:

ارتفاع المسيح عليه السلام فجأة قبل تمام رسالته[1].

١- عدم اجتماع الحواريين الذين أذاعوا تعاليمه من بعده على نص واحد من الإنجيل كما نطق بها المسيح عليه السلام وأدلى به إليهم.

٢- تأثر الحواريين بعد ذلك ومن أخذ عنهم،في شرح الإنجيل والاستنباط منه، بالإسرائيليات لقرب عهدهم بالذي كانوا عليه من دينهم.

٣- تحول نظر الناس إلى أهم معجزات المسيح: ولادته، ونزول المائدة عليه، ورفعه،من معجزات أراد

١) رفع المسيح عليه السلام فجأة، مصدقا لقوله تعالى " أني متوفيك ورافعك ألي"

الله بها تأييد رسالته المنزلة التي جاءت الرسالات الإلهيه جميعاً وجاء بها الإسلام بقرآنه مصدقاً لما بين يديه ومهيمناً عليه يظهر وجه الحق كما أمر الله وأنزل به وكما خالف بنو إسرائيل شريعة موسى حين دعتهم إلى القتال في سبيل الله وقالوا ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾(المائدة ٢٤) وزعموا من بعده أن العزير ابن الله،كذلك نسى أتباع المسيح شرعة التسامح والرحمة وقالوا المسيح ابن الله. و لم تمض ستة قرون على رسول الرحمة، حتى كانت الأرض أحوج ما تكون إلى رسول رحمة، يتمم ما جاء به موسى والمسيح، ويهدى الناس إلى الحق مما اختلفوا فيه.

فكان من أهم الأسباب التي استوجبت مجيء خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بشريعة الإسلام الأسباب الثلاثة التالية:

١- أن تقدم المسيحية واليهودية وانتشاراهما في أقطار العالم وقف عند حد محدود لم يتجاوز ممالك أوربا وحوضي البحر الأبيض والبحر الأحمر؛ وبقيت أمم عظيمة كالهند والصين وفارس ذات حضارة ومدنية لا ترى فيهما فرقا جوهريا يدعوها لترك أديانها التي يشبه بعضها المسيحية من عدة وجوه كثيرة.

٢- اشتداد الخلاف والتراع بين أتباع الشريعتين السابقتين وكذا بين المذاهب النصرانية نفسها،حول ذات المسيح وولادته ورفعه أو(صلبه) وحاجة الناس إلى دين يوفق بينهما على الحق البين.

٣- تمام القصد من تمهد حبل العالم لقبول فكرة التوحيد الخالص وأساغة مبادئ الإسلام،بتقديم شريعتي موسى وعيسى عليهما السلام،مع اقتران ذلك بإرادة الله تعالى أتمام دينه الحق الذي أختاره لخلقه.

فبينما كانت الحروب الطاحنة تفني عشرات الألوف من البشر على ضفاف

البحر الأبيض،وبينما كانت مئات الألوف من الخلائق تسام الخسف والعذاب وذل العبودية في أوربا وأسيا وأفريقه تحت حكم الإقطاع،وبينما كان الفكر البشرى يرسف في ثقل الأغلال من التضييق والظلم والاستبداد و

الهمجية، بينما كان العالم بتخبط في تلك الظلمة الحالكة المهلكة،شاء الله أن يبعث رسوله " النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث،ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم" ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بأمره ويهديهم إلى صراط مستقيم.

هنا يحق للقارئ أن يسأل:

ولم خص الله العرب فوضع فيهم تمـــام رســالته، وأختار منهم أفضل رسله وخاتم أنبيائه؟

والجواب إن رسالة الإسلام،وهي خاتمة الأديان(إلى الناس كافة) كانت تتطلب أمة ذات مزايا خاصة تؤهلها لتفهم روح الإسلام،وإيصال دعوته إلى أبعد الأقــوام: مصونة مطهرة من الشوائب والأدران.

وتلك كانت أمة العرب حين بعث رسول الله ﷺ.

أما ماهية هذه الخصائص وكيف توفرت في العرب فإليك بيانه:

خصائص الأمة المختارة لهذا الإصلاح

أجملنا فيما سبق الدواعي والأسباب التي مهدت لظهور الإسلام، وهنا نحاول أن نتبين الخصائص التي كان يجب توفرها في تلك الأمة المختارة لتبليغ رسالة الإسلام.

لقد دعا موسى بني إسرائيل ليقاتلوا في سبيل الله فيرفع ربهم لعنة الذل والمسكنة،فما أطاعوه؛وجاء المسيح يبشر بالإخاء والرحمة فأعرضوا عنه وأرادوا أن يقتلوه.

فالإسلام باعتباره خاتمة الأديان للناس كافة، كان لزاما أن يقام صرحه على أساس قوى يثبت على عوادي الأيام و يساير تقلبات الأحوال والأزمان، وأن يحاط ويزود بجميع الوسائل والعوامل التي تدرا عنه ما طرأ عليهما من وجوه النقص والتحريف؛ وهذا يتطلب ظهوره قبل كل شيء في أمة خلصت من ذلة بني

إسرائيل، ومن قساوة الروم معا؛ في أمة وسط تجمع البسالة والأقدام إلى الشهامة والنبل والحزم وشدة البأس إلى التسامح واللين؛ وتكون من الذكاء والفطنة وسلامة الفطرة،وقابلية الخضوع للحق،بحيث تعي تعاليم الإسلام وتحتفظ بها سليمة مبرأة:ببصيرة نيرة وحافظة قوية وعقيدة راسخة لا تخالجها شبهة وسيف لا يصدع إلا بالحق وفى سبيل الحق.

وكان يجب إلى جانب هذا أن تكون لغة الإسلام من السعة والمرونة وأحكام التعبير عن المعاني الدقيقة،بحيث تستطيع أداء رسالة الإسلام في حلة قشيبة من جلاء المعنى، وأحكام المبنى،وأعجاز اللفظ،كما يمثلها اليوم،ومن قبل أربعة عشر قرنا،القرآن الكريم.فلننظر هل توفرت هذه المزايا والخصال،في العرب،دون غيرهم،حتى خصوا بهذا الشرف؟

لقد عرفت بلاد العرب منذ القدم في التاريخ بالبداوة،والعزلة والمحل،قياسا إلى جاراتها من بلاد فارس ومصر والشام،وما وراء ذلك من أرض الروم.فكان

أكثــر ســكان الجزيرة،ماعــدا الــيمن وعمــان،من البدوالرحل،لا يؤمون المدن القليلة المبعثــرة في أنحــاء الحجاز ألا في مواسم الأســواق للمســابلة وشــهود مساجلات الشعر وحسم الخصومات وحقن الدماء.

وكان العرب في عزلة كاملة إلا ما كان من رحلتي قريش:في الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام،ووفود المناظرة والغساسنة إلى كسرى وقيصر حينا بعد حــين يدرءون عاديتهما بما يكشفون لهما من رجاجة عقولهم ووفرة أحلامهم وشدة بأسهم واعتزازهم.

وقد عاش العرب مئات السنين قبل الإسلام بتلك البداوة الموحشة،في تلك العزلة المنقطعة حياة هي أقرب ما تكون إلى الخشونة،والجفاف، وأبعد ما تكون عــن الطراوة واللين؛ لكنها حياة حرة عزيزة الجناب.

هذه الحياة المنعزلة لم تكن حياة خمول وغباء،كما يتخيل الكثيرون وكما ينتظر أن تكون حال أمة بدويــة مغمورة في ظلام الأمية وضلال الوثنية؛بل كانت حياة كلها نشاط وكلها ذكاء وعبقرية.

لقد كان أخذ الثأر والتعصب للقبيلة وحماية الجار،سببا دائما لحرب مشبوبة الضرام:تأكل رجالهم وتتلف أبطالهم وتباعد بينهم،وتجعلهم في شغل لا ينقطع من أمرهم.وقد استغنى العرب عن الكتابة والكتب بحافظة من الطراز الأول تعد أية من آيات الذكاء الفطري لم تحظ بها أمة أخرى من الأمم.

هذه الحافظة القوية كانت وعاء لا ينضب لأشعار العرب وأنساب العرب ومآثر العرب.ومن ثم كانت حياتهم مقسمة بين ثلاث:الغزووالحرب،مأثور الكلام في مفاخر العرب،السعي في سبيل العيش من رعي أوتجارة.

هذه الحياة الساذجة المملؤة بالنشاط والحركة ضمن هذا المثلث المحدود، كانت تقابلها حياة ضخمة من أبهة الملك وبسطة السلطان وزخرف الحضارة عند الروم،وحياة ذلة ومسكنة وجمود عند غيرهما من الشعوب المستضعفة التي كانت خاضعة لنير هما.ولم يكن حال الأمم الأخرى كالهند والصين يخرج عن

هاتين الحالتين. وقد كان من طبيعة القوة الغاشمة التي يعتز بها القوى أن تصده عن التزول عند الحق الذي يكف من غلوائه ويهون من أمر قوته وبديل من باطله،كما كان من شأن الهوان والضعف أن يجنبا الضعيف حمل رسالة لا يطيقها ألا ذوقوة وعزة،وقد تبين ذلك من تجربة فرعون وبنى إسرائيل،وأما تلك الأمم الأخرى التي لم تؤمن بعد حتى بشرعية موسى أوالمسيح،فكان من المستبعد أن يسلس قيادها لدعوة الحق أوتثبت عليها وتقوم في الدفاع عنها بعزم ويقين.فلم يكن أذن سبيل إلى ظهور رسالة الإسلام ألا بين ظهراني العرب،رغم أن ما تقدم بيانه من حالهم،وقلة عددهم وعدقم حرى بأن يعد من جوانب النقص التي تدعوا إلى أيثار غيرهم،فالحقيقة أن جوانب النقص هذه في حياة العرب قبيل الإسلام أنما كانت هي المدرسة الإلهية التي أعدت تلك الأمة الفتية لحمل مشعل النور والهداية فيما بعد إلى أقصى أطراف العالم:بكفاية

معجبة، وقدرة معجزة، لم يشهد التاريخ لها أي مثيل. أما

كيف ذلك؛فأليك تفصيله.

إعداد العرب لحمل رسالة الإصلاح

من المدهش حقا أن تكون نواحي النقص في حياة العرب قبل الإسلام، كلها أوجلها، مصدراً لعناصر القوة التي كانت عماد وثبتهم.بل يكاد يكون ذلك النقص.مقصودا من عندا لله لأن الطريقة المثلي لصقل ملكاهم وتحرير سجاياهم،وإخضاع كل شيء فيهم لقانون الانتخاب وبقاء الأصلح. فهذه الغارات الشعواء والحروب الدهماء التي قلنا أنها كانت تستنفد دمائهم هي التي أنجبت أبطالهم وأورثت الشجاعة والأقدام في أبنائهم وأكسبتهم تلك المزايا الحربية العالية القليلة النظير.

فإذا وضعت الحرب أوزارها، وأنصرف الناس لشأنهم كان عمل أكثرهم الرعي والقنص وركوب

الخيل من وسائل الرياضة القوية،وعمل القليل منهم التجارة وما يشبه التجارة من المهن المستقرة.

فإذا لم يكن هنالك شاغل من حرب أوعمل كانت تلك المجالس الساذجة الخالية من مباهج الحضارة مدارسة الأشعار،ورواية الأخبار،وترديد مفاخر الآباء والأجداد:من حضٍّ على الفضيلة وصد عن الرذيلة،وحمد للمروءة؛وذم للنقيصة؛ينتقون من ذلك كله أبلغ القول وأجوده،وأر صنه وأحكمه. وكان هناك عوامل عدة تضاعف من خصب هذه الثروة الفكرية المنتقاة عند العرب أهمها سعة الفراغ للتأمل.والتأمل أكبر معين على نضج الفكر وكشف المعاني وتركزها،وارتباط الألفاظ بمدلولاتها وأدراك الصور على حقيقتها.فكان العربي بهذه الحافظة القوية الغنية،غنيا عن كل كتاب وقلم.وكان هذا الاستغناء عن التدوين والكتابة من أهم الأسباب في بلوغ ملكة الحفظ عند العرب مبلغها من القوة والكمال واختصاص لغة العرب

بهذه المرونة والقابلية للتطور.وهذا بحث جدير بعناية أدبائنا الباحثين.

ولقد أجتمع للعربي من هذه الحياة التي وصفنا:صحة الجسم،وقوة الذهن،وصفاء القريحة،وسعة الفراغ،مع اتصال مباشر وثيق بالحياة.وما أجتمع هذا كله لإنسان، مهما قل نصيبه من مفهوم(العلم)في عصرنا الحديث، ألا كان جديرا بأن ينفذ من الحياة إلى لب اللباب، ولا يصدر فيما يقول ويفعل ألا عن صواب،وهذه الغاية في الحقيقة هي أفضل ما تستطيع العلوم والفنون في مختلف العصور أن تبلغه.

وقد درجت هذه المؤثرات المتعددة بحياة العرب في سبيل القوة والامتياز.فسمت آدابهم الاجتماعية على العموم حتى صار التنافس على اكتساب الحمد والثناء في الحلم والجود والمرؤة وحمى الجار والوفاء بالعهد،شغل العرب الشاغل يومهم ونهارهم وقد بلغوا في ذلك ما لم تبلغه أمة من أمم الأرض. وكان من فيض تلك القرائح الذكية التي تعشقت الإبداع والأحكام في كل شيء،هذا

المأثور من لغة العرب،يمثـــل أعجـــاز البيان،وفصـــاحة اللسان،ورجاحة الأحلام،وبراعة الأجمال للمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة.

هذه كانت حالة العرب، وكان كل جانب نقص أوضعف سببا إلى الكمال.وقد أصبح من نافلة القول أن نشير إلى خلوهذه الحياة البدوية البسيطة من التشـــريع بمعناه المفهـــوم. لقـــد كانـــت العصـــبية المجملـــة في قولهم:(أنصر أخاء ظالما أومظلوما) [1] هي المـــادة الأولى من قانونهم. فإذا أنكشف غبار الحرب والنزاع اجتمعوا إلى حكم عدل من ذوى الرأي فيهم لـــيحكم بينـــهم بالقسطاس المستقيم أخذا بقوله وحجته.ولعل من أمتع المتع الفكرية أن يقرأ الإنسان شيئا من هذه المحاكمـــات التي تتمثل فيها خلائق العرب بأجلي بيان. فلا لجاج ولا سفسطة،ولكن حضـــور بديهية،ولباقـــة جـــدال،وقوة حجة،ونزاهة حكم،يساق كله في لغة قويـــة محكمـــة

---

١) المجلة:روى هذا أيضا في حديث شريف،ولكن بمعنى إغاثة المظلوم،والظالم عـــن ظلمه.(راجع المجلد ٢ ض ٢٤٦ من مجلة التمدن الإسلامي).

مدعما بالحكم والأمثال، حتى ينتهي الشاكي والمشتكي أليه للحق الذي لا ريب فيه فيرتضـية الجميـع وهـم صاغرون،كأعدل ما يكون،وأنفذ ما يكـون حكـم القضاء في القرن العشرين.

هذا، وما أن قارب مجيء الإسلام، حتى أخذ النظام والانسجام يسرى إلى حياة العرب، يسوقهم إلى ذلـك شيوخ حنكتهم الأيـام ودهـاة عجمتـهم الشـدائد واستعداد إلى اقتباس محاسن ملك الفرس والرومان.

فكان لقريش دار ندوة تنظر في خصوماتهم وتشير بما فيه الخير والصلاح لهم.

وكان للعرب عامة أربعة أشهر حـرم، يفـدون فيهاألى الكعبة المشـرفة،وعكاظ وغيرهمـا: يكرمـون أصنامهم ويطعمون فقـراءهم وينشـدون أشـعارهم ومفاخرهم،في لغة أوشكت أن تكون قرشية خالصـة بعدما كانت لهجات إقليمية متنافرة.وكـذلك تميـزت الرجال فانعقدت الزعامة لقريش على جميع العـرب، وبدأت غيوم الحرب تنقشع عن أمة قوية العناصـر،فيها

من قادة الرأي وأبطال الحرب ودهاة السياسة من أمثال أبي طالب وأبي جهل،وخالد وعمروبن العاص وعـــدد كبير،و لم يكن ينقصها سوى رجل واحد.

في تلك الفترة التي التأم فيها شمل العرب،وراحـــت الآمال تعجم رجالات قريش

تبحث عن(الرجل) وكانت أمنية مضمرة في نفسه وكل يؤمل أن يكون ذلك الرجل الذي ســيبنى ملــك العرب في تلك الفترة،أشرق في سماء العـــالم كوكـــب السعد والهداية(محمد بن عبدالله) عليه الصلاة والسلام.

الدهشة الأولى لظهور الإسلام

عهد الناس محمدا فتى كريم النسب، سمح الأخلاق،يؤثر العزلة والاعتكاف عما يخوض فيه الناس من أكثر شؤون الحياة،لكنه عرف بشيء واحد غطى على جميع ما تحلى به من المحامد وصفات الكمال: ذلك هوالأمانة والصدق،حتى لقب بالأمين. وكان حب الناس لذلك الفتى حب أعجاب واحترام،يزيد ه اطمئنان سادتهم إلى زهده فيما تعلقت بهم أمالهم من زعامة العرب ورئاسة قريش،أوغير ذلك، وكانت العرب(كما قدمنا)أخذت تلم شعثها وتنسى ضغائنها،وتوحد صفوفها توطئة لملك يفاخرون به الأمم،ولكن إلى جانب هذه الفكرة المضمرة المبهمة،كان قوم من كهانهم وأهل العلم بالأديان منهم لا يفتون يشيرون إلى قرب مجيء نبي من العرب بشرت به الأديان وذكرت أوصافه الكتب. حدث أبوبكر الصديق ﷺ، قال:(كنت جالسا بفناء

الكعبة،وكان زيد بن عمروبن نفيل قاعدا.فمر به أمية بن أبي الصلت،فقال:كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال:هل وجدت؟قال:لا،وأل من طلب.

فقال: كل دين يوم القيامة ألا ما قضى الله والحنيفة بور،إما أن هذا الذي ينتظر.منا،أومنكم،أومن أهل فلسطين).

بينما كان العرب على مثل هذه الحال من الأهمية لأمر مبهم يحوم فوقهم، نزل الوحي على فتى قريش الأمين بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون

هنا أستميح القارىء عذرا للخروج عن سياق البحث لأثبت صورة من طباع البشر حين يلقون الحق جديد الأهاب،غريب المعالم.

١. **أم المؤمنين خديجة**:أولى هذه الصور وأحقها بالذكر،موقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها،أولى زوجات النبي وأجلهن شأنا في حياته الشريفة كانت أول إنسان

أفضى أليه رسول الله بنبأ الوحي الذي نزل عليه في غار حراء لأول مرة.وكان شك المفاجأة المقرون بالوجل يخالج قلب النبي ﷺ، وكان في شبه غشية من شدة ذلك الأمر وقد تزمل وأخذته رجفة،وأنغمر في موج من التفكير فيما عسى أن يكون من شأنه وفيما عسى أن يصنع الدهشة والحيرة والتردد،كانت خديجة رضي الله عنها أسرع الناس إلى الإيمان، وأرحبهم صدرا لتصديق ما أخبر به الأمين.وما ونت أن أتت ورقة بن نوفل تستوضحه أمر ذلك النجي الخفي الذي كلم محمدا في ألا بالبشرى تبدد شكوكه وتطيب من نفسه. وتغدق عليه فيضاً من الحنان والإخلاص يهون عليه كثيراً من عبء ذلك الأمر الخطير.

هذا الموقف لا ريب أنه يمثل أسمى مراتب الإخلاص الذي لا يحجب عنه الحق أي حجاب،ولا يصد صاحبه عنه شك أوارتياب.

٢. **أبوبكر الصديق** ﷺ :إلى جانب هذه الصورة صورة أخرى كثيرة الشبه **بها هي الصديق** ﷺ ووجه الشبه بينهما هوالمصدر الأول لإيمانهما بنبوة الرسول الكريم،ذلك المصدر هوالثقة في صدقه،والإخلاص العظيم في محبته وإعزازه.قال ﷺ :**(يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟ قال:وما بلغك عني؟قال:بلغني عنك انك تدعوإلى توحيد الله وزعمت انك رسول الله! قال:نعم يا أبا بكر. أن ربي جعلني بشيرا ونذيرا وجعل لي دعوة إبراهيم،وأرسلني إلى الناس جميعا. قال أبوبكر: والله ما جربت عليك كذبا،وأنك لخليق**

بالرسالة لعظم أمانتك،وصلتك لرحمك،وحسن. فعالك. مد يدك فأنى مبايعك!) هكذا تم إسلامه وما خطر له قط أن محمدا واهم فيما يقول أومدع فيما يزعم.بل كان ﷺ من الثقة في رجاحة عقلة وصدق روايته،بحيث رأيت من بيعته وهوواقف وقد كان ذلك الإيمان الغار؛وما عادت الصادر عن خالص المحبة لرسول الله من القوة بحيث كلفه في بداية الأمر من المخاطرة والتعرض لغضب قريش مالا يقدم عليه ألا ذويقين يستعذب كل أذى ومحنة في سبيل عقيدته ووفائه لصاحبه.

هذه الصورة والتي قبلها، للمحبة والصداقة تحمل صاحبها على اعتناق عقيدة تجعله خصيما لقومه كافة،ويضحى في سبيلها كل غال ورخيص عن طيب

خاطر،هي صورة نادرة في حياة البشر،ولا يمكن اعتبارها صورة صحيحة لعقلية العرب وإيثار مفكريهم للحق في ذلك الحين.

ولكن أليك رجلا هومثال للعقلية العربية الناضجة المتشبعة بروح الحق، يريك كيف يكون اعتناق الفكرة بعد النظر والاقتناع في جرأة وقوة وإعلان،ذلك هو:

٣. **عمر بن الخطاب** ﷺ: لقد علم عمر بن الخطاب من أمر محمد ما علمه خاصة قريش وعامتهم وكان أشدهم حنقا عليه منذ علم باجتماع أصحاب محمد في دار حفصة،حتى هم أن يريحهم منه ويكفيهم أمره بنفسه.فما أن سمع بعض آيات الحق،حتى نفذ الإيمان إلى قلبه غير معاند ولا مكابر وخرج من لدنه يعلن لقريش

على رؤوس الأشهاد أن محمدا على حق
وأنه مؤمن بما نزل عليه من عند
ربهرضيت قريش أم أبت!

لم يكن إيمان أبن الخطاب عن ثقة بصدق محمد عليه السلام ولا عن مودة له،وإنما كان اقتناعا بما سمع من آيات الله،وإيمانا منه بأنها فوق طاقة البشر.هذا الحرص من عمر ﷺ على التماس الحق والأنصاف له وأتباعه بلا هوادة ولا تردد، كان من اظهر صفاته التي لازمته في جميع أدوار حياته، جاهلية وإسلاما، حتى كان لا يبالي أن يجادل رسول الله في سبيل الحق(وقد كان موقفا ملهما بالصواب وكثيرا ما كان يشير على الرسول ﷺ بأمر ثم يترل القرآن به.) وكان رسول الله يدرك ويكبر فيه هذه السجية، فكان أوثق الناس مشورة عنده.

وقد كان إسلام عمرﷺ فاتحة جهاد عنيف بين حرية الفكر التي يستميت صاحبها في سبيل الحق والعقيدة، وبين جمود الفكر الذي يستميت صاحبه في سبيل الباطل المورث، والغرض المتحكم في النفوس. وكما يصح أن يعد عمر ﷺ رأسا للفريق الأول السابقين إلى الإسلام،يصح أن يعد أبوجهل لعنه الله رأسا للفريق الأخر ممن صدوا عنه وقابلوه بأشد العدوان.ولا شك أن الفريق الأول هوالأقل عددا في كل زمان ومكان من كل أمة. وكذلك كان العرب حين أعلن محمد دعوته

بعد إسلام عمر، كلهم(أبوجهل) في كفره وعنته،ألا قليلا من المؤمنين.ومن يومئذ بدأ الإسلام يجاهد جهادا عنيفا في سبيل الحياة. وقد تلقاه عامة العرب بالنفور وخاصتهم بالارتياب.

كان(الأمين) إلى ذلك الحين محبوبا مصدقا حتى ارتضته العرب حكما في وضع الحجر الأسود بمكانه من الكعبة لأنه لم يخالف قومه في مألوف ولم يسفه

أحلامهم في معروف، ولا سولت له نفسه أن يمد بسبب إلى الرياسة. أما وقد جاءهم بجديد يخالف مألوفهم،ويسفه أحلامهم، ويصرفهم عن دينهم الذي نشأوا عليه، ليجمعهم حوله ويلي أمورهم بنفسه،فذاك مالا يكون!

هي دهشة، ولكل جديد دهشة،وحيرة، عرت قريشا وحملتهم على مناوأة رسول الله. حيرة من كان يعد نفسه لأمر ثم جبه بغيره لم يكن يخطر له على بال؛ودهشة من يفاجأ بحدث من رجل هوأخر من كان ينتظر منه مثله،في اعتزاله وزهده وضعف ناصره. فلما بدأ رسول الله يدعوقومه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لم يلق من سادة قريش ومن عامة العرب إلا أذانا أصمها الغرض والحسد والجمود على ما خلف الأجداد.وقد دامت تلك الحال عشرة أعوام، عرفت بما أحتمله رسول الله في أثنائها من أذى قريش واضطهادهم: له ولصحبه، حتى هاجر في النهاية كما

هاجر أكثر أصحابه قبل ذلك، وقصد المدينة لا ثاني معه غير الصديق ﷺ.

وكانت تلك الهجرة إيذانا من الله بانكشاف المحنة، فانطلقت عقول العرب من عقالها وخرجت طباعهم عن جمودها، يلتمسون وجه الحق فيما يزعم محمد بن عبد الله ﷺ.

نعم، بدأ الناس يدركون أن كفاحا في سبيل العقيدة يبلغ بصاحبه هذا المبلغ من البلاء والشدة لا يمكن أن يكون القصد منه ما يتوهم الناس من حب الرياسة وبعد الصيت،وتباهة الذكر. وإذا جاز مثل هذا الخطل من أحد،فأنه بعيد أن يصدر من محمد في حصافة عقله وما عرف به في ما مضى من حياته.أما وقد عرضوا عليه كل مطمع فأبى أن يدع ما يدعوأليه فأنه لأمر جدير بأن يتدبر بغير تلك العصبية العمياء التي خضعوا لسلطانها أول الأمر.

وقد كان إلى حين الهجرة،نزل من القرآن مقـــدار كبير،وأمن من عقلاء العرب وأصحاب الرأي والتـــدبير فيهم خلق غير قليل.

فلم يكد رسول الله يستقر بالمدينة التي تلقاها أهلها لقاء الظافر المنتصر، مؤمنين مرحبين، حتى توافدت عليه رجـــال القبائـــل وأشـــياخ الـــرأي يبايعونـــه علـــى الهدى،ويعاهدو نه على النصرة، وأصبح أنصاره وحلفاؤه كل يوم في ازدياد.

بزوال تلك الدهشة الأولى،ودخول العرب أفواجا في دين الله،أحس ســـادة قريش،وأولوالزعامـــة منـــهم خاصة،بالخطر ورأوا أنفسهم

بين أمرين،أحلاهما مر. أما أن يسوقوا العـــرب في وجه هذا النبي العصي،فيثروها حربا شـــعواء،لا يعلـــم مصيرها ألا الله فيعود العرب حيث كانوا في الجاهليـــة بنحر بعضهم بعضا؛وأما أن يخلوا بينـــه وبـــين النـــاس يسحرهم بقرأنه،ويستملهم بقوة حجته وفصاحته فـــلا يلبث أن يستأثر دوهم بالأمر ويصبحوا من الخاســـرين.

وقد أبي شيطان الهوى ألا أن يسوم قريشا الخطة الأولى وأنتشبت حرب لم تكن في الحقيقة –عند رجال قريش– ألا في سبيل الزعامة والرياسة؛ أو كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الأنفال٣٧

فأعز الله المؤمنين وخذل الكافرين ودخل النبي وأصحابه مكة ظافرين غالبين، كما خرجوا منها خائفين مستضعفين.

خاتمة

بدخول المسلمين مكة فاتحين تم الأمر للإسلام بين عرب الحجاز وأخذ رسول الله يوجه دعوته إلى أطراف الجزيرة النائية:اليمن وعمان. فأسلمت الأولى حربا وأسلمت الأخرى طوعا وأقبل الجلندى وأخوه يبايعان رسول الله على الطاعة والإسلام وأداء الزكاة لمن يوليه أمر ذلك من أصحابه. وبتمام دخول اليمن وعمان الإسلام-من كفاحه الأول في سبيل الحياة والبقاء- موقفا منصورا؛ وأوشكت رسالة النبي على التمام حين شرع يوجه الدعوة لغير العرب من ملوك العجم. أمثال كسرى وقيصر وهرقل،ونجاشي الأحباش.

وبتمام رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام،

ختمت صفحة النشوء، وفتحت صفحة جديدة لانتشار الإسلام فيما وراء الجزيرة وأتساعه وتقدمه وقيام تلك الحضارة الزاهرة التي خلدت أسماء دمشق والقاهرة وبغداد وقرطبة وغيرها في سجل التاريخ بمداد

من الذهب. فكان فجر الإسلام حقا مثـــالا فـــذا لمـــا تستطيع أن تصـــنعه عـــزائم الرجـــال مـــن جلائـــل الأعمال،حين تخلص النيات

وتعمر القلوب بالإيمان، ويسلك الناس إلى غاياهم طريق الحق والصدق وفق ما جاء به الإسلام. وما مـــن شك أن أخر هذا الدين لا يصلح إلا بما صـــلح أولـــه؛ فلنتلمس في هذه السيرة المباركة وجهادها المجيد نـــورا ورشدا، فنحى ما أندثر من سنن الإسلام ونصلح مـــا أفسده التقليد الأعمى على توالى الأيام؛ ونتعهد تلـــك الدوحة بالعمل الصالح: فتحيا وتخضر وتورق وتثمـــر، وتعود كما كانت: تمد الناس بالطيبات، وتبعث فـــيهم بهجة الحياة.

أما سبيل انتشار الإسلام وتقدمـــه،والعوامل الـــتي أدت أليه،وأعانت عليه، والأسس التي قامـــت عليهـــا حضارة الإسلام فيما بعد،

فذاك بحث الفصل الأتي من هذا الكتاب[1].

---

١) **ملاحظة**:أغلب شواهد هذا المقال أخذت عن كتاب(خريجومدرســة محمـــد) للأستاذ إبراهيم الواعظ، فله الشكر على ما وفر من جهد على الباحثين.

تقدم الإسلام
وسبيل العرب إلى المدنية

أجملنا في الفصل الأول من بشائر الإسلام الأحوال التي مهدت لظهور الإسلام وأسباب ظهوره في العرب، والمصاعب التي أحاطت به في نشوئه ومراحل النجـــاح التي قطعها في حياة رسول الله ﷺ .

وقد بقى أن نواصل البحث في هذا الفصل حـــتى ننتهي(ببشائر الإسلام)إلى ما انتهت أليه،أوانتـــهى بهـــا العرب من ذرى المدنية والرقى.ولعل كثيرين من القراء يأخذون على هذا البحث وسابقه الأجمال المفـــرط ى بعض المواضع،والحقيقة أنه اقتضاب مقصود مذ كـــان الغرض استخلاص النتائج البارزة لا سرد التفاصيل.

فإبقاء تاريخ الإسلام حقه من البحث والتحليـــل والنقد يستغرق المجلدات،فإذا

عرض كاتب لبعض نواحيه في مجلة شهرية كمجلة التمدن الإسلامي الدمشقية لا يمكن إن يكون ذلك ألا على سبيل(أعطاء فكرة) تكون نواة صـــالحة لبحـــث مستفيض يعنى به أرباب الاختصاص فيكون أوفى بيانـــا وأقوى حجة وأوضح فكرة؛وحسب القراء الأفاضل من هذه الفصول سداد من عوز،وغذاء للروح.

الأمة التي أنجبها الإسلام
أثر الإسلام في العرب لعهد رسول الله

لقد كان للإسلام تأثير عميق في قلوب المؤمنين الأولين.هذا التأثير كشف عنه تلك المحن التي صابروا رسول الله عليها نحوا من عشرين سنة طيبة نفوسهم بالفداء في سبيل الله وسبيله. و لم يكن ذلك الإيمان عن وعد أووعيد فيتقيد بهما، بل كان رسول الله ﷺ لا يلقى بدعوته-في أول الأمر- غير الصفوة الممتازة من رجالات قريش عقلا وخلقا وسداد رأى، فلم يكن يؤمن الواحد منهم ألا مقتنعا بصدق دعوته،موطنا النفس على التضحية بكل شيء في سبيل عقيدته. فقام الإسلام حين قام على أثبت الأسس وأرسخ الدعائم وظل يصعد في أناة وأحكام حتى خرج أخر الأمر كأفضل ما يخرج البناء من يد أحذق المعماريين، لا ترى فيه عوجا ولا أمتا.

ولقد كان لحسن اختيار هذه الأشخاص أول بعامل من القدرة، ونموالإيمان ورسوخ الإســلام في المــؤمنين الأثر الأكبر في سرعة انتشار الإسلام بين العرب صدور الداخلين فيه. فلم يكن مضـــى الأيــام ليزيـــد تلـــك صفاء.و لم يكد يمضى على إعلان الدعوة سنوات حـــتى بدأت ثمرات الإيمان تعلن عن نفسها،تتكشف من خلال الحوادث عن تلك الخلال الفريدة والمزايا العاليـــة الـــتي كان يتطلبها الإسلام فيمن يحمـــل رســـالته ويرفـــع رايته،ويحمى فى مدى العصور حوزته

فكان استظهار ما يترل من القران الكريم والعنايـــة بكتابته بوسائل ذلك العهد، الشغل الشاغل للنبي عليـــه السلام وصحبه.

وكانت ثقتهم بوعد الله من أحـــدى الحســـنيين: شرف النصر أوشرف الاستشهاد أثناء ذلـــك الكفـــاح العصيب، تجعل الموت أحب أليهم

من الحياة.ولقد ربط الإسلام بين قلوبهم بحبل متين من الأخوة والإخلاص والإيثار كما قال تعالى:"محمـــد

رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينـــهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا مـــن الله ورضـــوانا سيماهم في وجوهم من أثر السجود."

وأليك أمثلة من هذه النفسية التي هذبها الإســـلام وتشربت بروحه على جدة وحداثة عهد هي في الوقت نفسه شواهد من التفاني في سبيل الله والاعتزاز بـــدين الحق ومحبة رسول الله:

١- أستشار رسول الله عليه السلام الأنصار ليخرج بهم إلى حرب قريش لأول مرة(وقعة بدر الكبرى) ولم تكن بيعة الأنصار ألا أن يمنعوه مـــا دام فـــيهم؛ فأجابه المقداد بن عمروبقوله(امض يا رسول الله لما أمرك الله،فنحن معك! والله لا نقول لـــك كمـــا قالت بنوإسرائيل لموسى: "اذهب أنـــت وربـــك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون"! ولكن نقول "أذهـــب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون". فوالـــذى بعثك بالحق، لوسرت بنا إلى " برك الغماد" لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه). وقد أمد الله المسلمين

في هذه الواقعة فهزم المسلمون وعـــددهم ٣١٤– ثلاثة أمثالهم من المشركين.

٢- وقد مر رسول الله عند انصرافه من وقعـــة أحـــد بامرأة من بنى دينار، من الأنصار، أصيب زوجهـــا وأخوها وأبوها. فلما نعوا لها، قالت: فمـــا فعـــل رسول الله؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هوبحمـــد الله كما تحبين. قالت أرونيه حتى أنظر إليه. فأشير إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلـــل. وفى هذه الواقعة– وقعة أحد — التي أصيب فيها شخص رسول الله بأشد ما يصاب به محارب مـــن الأذى، حتى وقف دونه خمسة من الأنصار يدفعون عنـــه، وقد انحنى أحدهم وهوأبودجانة فوقه والنبل يقع في ظهره ولا يتحول،ووقفت نسيبة بنت كعب تذب عنه بالسيف وترمى عن القوس حـــتى جرحـــت جرحا شديدا؛ وقد كانت تسقى الماء أول النهار، فلما رأت هزيمة المسلمين انحازت إلى رســـول الله تدفع عنه كأصدق ما يكون دفاع الأبطال.

٣- أستشار رسول الله عليه السلام في أعطاء ثلث ثمار المدينة لقائدي غطفان لينصرفا بجيوشهما عن حصار المدينة، في واقعة الخندق، وقد اجتمعت عليهم الأحزاب، فأجابه سعيد بن معاذ بقوله:(يا رسول الله! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة ألا قرى أوبيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه،نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله ما نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم.) وصبروا في وجه الحصار، وقد جاءهم العدومن فوقهم ومن أسفل منهم، حتى أوقع الله الخلاف في عدوهم وسلط الريح عليهم، فانصرفوا ولم يمس المسلمين بفضل الله سوء.

هذه صور لمظاهر الصدق والإخلاص في العقيدة والإيمان ومحبة رسول الله،نوردها كمثال لنفسية المسلمين في أيام الشدة والعسر والقلة. وقد نمت فيهم

هذه الروح بما حق الله لهم ولرسوله من نصر وبما أعز به دينه بعد دخول أكابر قريش المتخلفين من قبل الفتح، أمثال أبي سفيان، في الإسلام ومتابعة الناس لهم من قريش وسائر العرب في ذلك.

فلما كانت حجة الوداع، ونزول خاتمة الكتاب، كان رسول الله ﷺ قد أوشك أن يفرغ من أداء رسالته الكبرى، وقد أودع أمانته كتاب الله الجامع لشرعه الإسلام، رجالا من هذا الطراز الممتاز، نشأوا تحت كنفه، وتطبعوا بطابع الإسلام وخلقه، لم يكن شيء أحب لديهم من المضي في سبيل تلك الدعوة التي شرع رسول الله يوجهها إلى ملوك الأمم قبيل وفاته؛(رجالا صبرا في الحرب، صدقا عند اللقاء، لوأستعرض بهم البحر لخاضوه، ما تخلف منهم أحد،) أمرهم شورى بينهم، يسعى بذمتهم أدناهم، تجردت صدورهم من كل هوى وغرض، وقد ألف بينهما الإيمان وساوى بينهما الإسلام، فلا فضل لأحدهم إلا بالتقوى. وقد كانت حياة رسول الله ﷺ

درساً وتمحيصاً لهم، فلما لقي ربه، كان فيهم خير خلف يقيم العرب على ذلك النهج، ويحملهم على تطبيق ذلك الدرس، وتلقينه لغيرهم من الأمم. وقد شاء الله أن يكون نموهذا الدين وانتشاره على أيدي رجال لا تميزهم(النبوة) عن غيرهم، ليكون عملهم في ذلك، وتكون دولة الإسلام القائمة على سواعدهم قدوة لغيرهم من بعدهم.

ولم يرد في كتاب الله أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله ﷺ إلا تلك الأوامر(العامة) كالشورى التي تتناول"الخلافة"وغيرها.من أمور المسلمين كأن الشريعة أرادت أن تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم وتبعا لاختلاف الظروف والأحوال، ومقضيات مصلحة الإسلام وأهله ولو لم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده، وأوضحت سبله، كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما).

فلما توفى رسول الله ﷺ كان العــرب المسلمون في قلة:عددا وعدة،ولكنهم كانوا من الاعتزاز بدين الله، والثقة بنصـــره،والتفاني في ســبيل الــذود عنه،حيث كانوا ورسول الله ﷺ يــوم بــدر وأحــد والخندق.

بهذه العقيدة الراسخة، والنيات الصــالحة،والتعاون على البر والتقوى،والحرص على كتاب الله، تقدم خلفاء رسول الله ليتموا رسالته، وينشروا دعوتـــه، ويضــعوا حجر الأساس لبناء ملك العرب ودولة المسلمين.

انتشار الإسلام
الدعوة إلى الإسلام بعد رسول الله ﷺ
وأسباب الفتح

ليس في الأرض دين أوقانون يرعى حرية الفكر والعقيدة رعاية الإسلام لها،هذه الرعاية أجملها القرآن الكريم بأبسط عبارة وأوجز بيان إذ قال:"لا إكراه في الدين"؛ فالأساس في الدعوة إلى الإسلام هوالاختيار والاقتناع وهما أساس الإيمان ومدار الجزاء عند الله، وعمدة الإخاء والثقة بين المسلمين فإن أبى أمرؤ الإسلام، فلا يطلب منه شيء سوى الكف عن أذى المسلمين واحترام دينهم مثلما يحب لدينه من الاحترام؛ وقد أيدت هذه الآية بكثير غيرها كقوله تعالى" أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة،وجادلهم بالتي هي أحسن" وهذه العناية ببيان أساس الدعوة إلى الإسلام هي مقتضيات الأمر بتوجيه دعوة الإسلام إلى الناس

جميعا،حتى لا يسلك إليها سبيل الإكراه ثم تلقى تبعة ذلك على(الإسلام)!! وقد جرى. رسول الله ﷺ على هذا الأساس الذي سنه القرآن حين كتب إلى ملوك الأمم المجاورة يدعوهم إلى دين الحق، كما جرى على ذلك في دعوة العرب؛ وكان ربح الإسلام من انتهاج هذه الخطة في جميع أدواره حتى في دور انحطاط الدولة أنه ظل نقيا سليما في جوهره لم يفسده دخول المنافقين فيه إلا القليل الذي لم يكن له شأن خطير يؤثر ى وجهته ونموه؛ وقد أقتدي خلفاء رسول الله من بعده بعمله، فمن أجاب بخير لم يتعرض المسلمون له بشر، ومن ناصبهم الحرب وبدأهم بالعدوان كان الجاني على نفسه.

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ البقرة١٩٠

فالحق أنه لولا اضطرار العرب إلى(الدفاع) عن أنفسهم تجاه الفرس والروم، لما اتخذت دعوة الإسلام سبيل الفتح والسيف؛ وكان أول ذلك مع الروم بسبب من قتل

الحارث ابن عمير الأدى وهويومئذ رسول النبي ﷺ إلى هرقل ملك الروم، وانتصار الروم لقاتيله العرب حين وجه النبي إليهم من يقتص منهم؛ فذلك الذي فتح باب الحرب بين المسلمين والروم. وكذلك بدأ الفرس بالعدوان حين كتب كسرى إلى عامله في اليمن(أن أبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من يأتيني به)، فجعل الله قتله على يد ولده؛ على أن موقف الإسلام من الفرس كان يختلف على كل حال عن موقفه من الروم بقدر تفريق الإسلام بنظره بين النصرانية والشرك.

نذير الحرب عند المسلمين

كان نذير الحرب عند المسلمين أن يتقــدم مــن أميرهم كتاب يخير العدوبين ثلاث: الإسلام أوالجزيــة أوالسيف. بذلك كتب خالد بن الوليد إلى هرمز عامل كسرى(أما بعد فأسلم تسلم، أوأعتقد لنفسك ولقومك الذمة،وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك؛ فقــد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة).

وكان مثل الخطاب هوالجواب الأمثل لما كتب بــه كسرى إلى عامله في اليمن عن رسول الله[1].

ولقد كان جليا بعدما سمع الروم والفــرس مــن اختيار رسول الله عليه السلام وذيوع الإسلام في العرب على اختلاف عقائدهم،

---

١) المجلة: وهوفي كل حال لم يتجاوز الخطة العامة التي رسمها الإسلام بدعوتــه إلى الله وإصلاح الأرض وحكمها فالإسلام لا يحارب إلا بعد الأعذار وبدافع مــن اختيار العدونفسه.هي حرب للضرورة والدفاع حماية للدعوة وأهلها وبمقــدار الحاجة.ولهذا، لم يعر العالم فاتحا أرحم من العرب كما قال غوستاف لوبون،فأن له في حربه خطة وهدفا وحدودا.

أن يرقبا عن كثب خطر هذا الدين الداهم، وقد وصلتهم الدعوة إليه. وإذا كان جواب كسرى لعامله في اليمن يمثل حماقة(الفرد) تجر البلاء على المجموع، فإن وقف هرقل وخاصة رجال الدين من الروم يمثل انقياد الفرد المدرك للحق لخطأ المجموع الذي نعبر عنه اليوم بالرأي العام......

ولعل اتفاق الروم والفرس في التخوف من الإسلام وإجتماعهما على عدواته كان من أهم الأسباب التي حملتهما على إستفزاز المسلمين بالتحدي وبدئهم بالعدوان على الوجه الذي تقدم؛ ولم يكن بد للإسلام أن يتجاهل هذه النية المبيتة عن غير اتفاق وهو في شغل من نفسه؛ ولكنه لم يكن يسعه أن يلقاها بغير ما لقيها به حين كمل أمره واستوثقت أسبابه، فخاض غمرات حرب ضروس، في وجه أقوى دولتين في الأرض، لو لم يكن فيها جانب الحق لما أتاه الله ذلك النصر المبين،فخرج منها ظافرا في الساحتين، وفاز المسلمون بالحسنيين. " ولمن أنتصر بعد ظلمه ما عليه

من سبيل إنما السبيل على الذين يبغون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم عذاب أليم ".

على أن هناك سببا أخر غير(واجب الدفاع) كان يحمل الإسلام على أن يتخذ سبيله إلى تلك الأمم المجاورة،ذلك السبب هوما تقدم بيانه من سوء حال الأمم التي كانت خاضعة لحكم الروم والفرس،وما كان يصيبها من الدمار والبلاء،طول تلك الحقبة التي استمرت الحرب فيها بين الدولتين الكبيرتين المتنافستين، ولا ريب أن الإسلام لو لم يتقدم لفتح تلك البلاد بحافز التحدي من الدولتين، وظل في حدوده التي بلغها أيام الرسول الله ﷺ مكتفيا بتوجيه الدعوة السلمية إلى تلك الأمم، لكان حربا—(باسم الإسلام وخلفائه، وما ذاع عن حكمه من عدالة ومساواة،وبساطة، ورعاية لحقوق الأفراد)—، أن يجتذب تلك الأمم ويرغبها فى دعوة المسلمين لتخليصهم مما هم فيه من سوء الحال، وأستبدادالحكم، وجبروت الحكام،.

الحكم في ظل الإسلام

في هذه الحروب التي نشبت بين العرب المسلمين من جهة،والفرس والروم من جهة أخرى قد خرج المسلمون منها جميعا بنصر منقطع النظير، حتى أمتد سلطانهم إلى أقاصي الشرق والغرب في قليل من السنين، ولم ينس المسلمون —(وهم في نشوة الظفر وعنفوان القوة والغلب)— حدود الدعوة إلى دين الله كما شرعها الله وجرى عليها رسول الله ﷺ فكان ذلك الإنذار العادل والوعد الحق يتقدم كل خطوة من خطوات الحرب، ثم لا يكاد المسلمون يدخلون بلدا حتى يديلوا فيه للحق من الباطل، ويكشفوا كربة المظلوم، ويكفوا عن الضعيف عنت القوى، ويقوموا على صيانة الأرواح والأموال، والأعراض، ويأخذوا بأسباب التعمير والإصلاح من جميع الوجوه. فكان طيب الذكر، وحسن الثناء، حقا غير مكذوب على حكمهم

ورأفتهم، وبرهم بعهودهم، في احترام حقوق وأديـــان الشعوب المحكومة لهم يســـبق جيوشـــهم، ويفعـــل في إضعاف جانب العدوأكثر من فعل سيوفهم حتى دخـــل المسلمون مدنا عظيمة بلا حرب، وقلما انتقضت عليهم بلاد دخلت في طاعتهم سواء بالسلم أوالحرب، ومـــا كان يمضى وقت طويل حتى تظهـــر علائـــم الرفاهـــة والرخاء والأمن والرضاء على تلك البلاد فما تســـمع شكوى لمحكوم.

هذه الحال المحمودة التي كان يجلبها المسلمون على البلاد المفتوحة، وما كان يشعر به أهلها في ظل الإسلام من الحرية والأمن والمساواة في الحقـــوق، مـــع خفـــة الضرائب والتكاليف، كانت من أهم الأسـباب الـــتي تضاف إلى يسر الإسلام وبساطة فكرته كل ذلك كان من العوامل في دخول الناس أفواجا ـــ(بمحض رغبتـــهم واختيارهم)ـــ في دين الله. وقد اســـتطاع الإســـلام في ذلك العهد ـــ(بخلوصه من الشوائب والبدع والتعقيد، وبما كان يحفه من جلال النصر)ـــ، أن يهضـــم هـــذه

العناصر المتباينة، والشعوب المختلفة التي دخلت فيه، ويطبعها بطابع واحد، هوطابع الإسلام،ولولا ما كان للعربية من امتياز باعتبار إنها لغة القرآن الكريم، لما كان فرق كبير بين العرب وسائر الأجناس المسلمة من حيث المترلة.

على أن هذه القوة التي كان من مظاهرها هذه الفتوح الموفقة السريعة في عهد الراشدين إنما كانت أمواجا دافقة تنبعث من شخص(الخليفة) المقيم في مكة ممثلا أصدق تمثيل سموالإسلام ونبله وفضائله، فكان اسم أبي بكر وعمر—(كما قلت أنفا)— بفتح الحصون المنيعة، ويخضع الألوف المستعصية، ويطمئن الشعوب الخائفة، في أقاصي الجزيرة، وسواحل البحر، ومدائن فارس.

اسمع أبا بكر وهويقول:(والله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله، لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه إلي)، تتمثل صدق العزيمة والتشبث بالحق من أجل أنه حق، حتى لوسمعه المريب لقال خذوني!

وأنظر إلى عمر وقد لقي بشير القادسية خارج المدينة، فأخذ يجرى وراء يستخبره، وذاك يسير على ناقته، حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون على عمر بإمرة المؤمنين! فقال الرجل: هلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين؟! وعمر يقول: لا عليك يا أخي ا‍ـــ تر تواضع النفس العظيمة في أسمى صورها وأجلى مظاهرها.

ثم أنظره يصلى على عتبة كنيسة بيت المقدس وقد دعي ليصلى داخلها فيقول:(لوصليت فيها لأتخذها المسلمون من بعدى مسجدا)، تر نزاهة الحكم أشد ما تكون النفس استعداد للاستسلام لغزوالظفر، واحترام الحق أقدر ما يكون الإنسان على تجاهل الحق، ورعاية العهود والحدود أملك ما يكون الإنسان لتجاهل العهود وتخطى الحدود، حتى إذ أبلغ ابن الخطاب أن أبن عمروبن العاص سطا على أبن رجل من العامة في مصر، وتبجح عليه شأن الطفولة الغريرة، بالإمارة،بعث إليه مع المشتكي بتلك الجلدة المشطورة غير مصحوبة بحرف!

وإذا داهية العرب ابن العاص في موقف الوجل وولـــده ماثل بين يديه مع الرجل ووالده في موقف المســـاواة، بأمر ابن الخطاب ولد المشتكي أن يقتص لنفسه من ابن الأمير عمرو،ويقول كلمته المشهورة(متى استعبدتم الناس وقد ولدهم أمهاقم أحرارا؟) وبـــذلك تـــر العدالـــة والأنصاف أمرا واقعا لا ضربا من الخيال.

هذه الشواهد تمثل سيرة الإسلام في الصـــدر الأول بصفة خاصة، وفى عصور القوة التي تلت من بعده،فيما فتح الإسلام من البلاد بصورة عامة، وهى سيرة يمكـــن بسهولة أن نتبين فيها أساس خطة المسلمين في الحكـــم. كان حكم الإسلام للشعوب يستهدف الخـــير العـــام، وتعميم"الديمقراطية الصحيحة"، وإدماج العنصر الحاكم والمحكوم في شيء واحد هومزيج أصلح من كل منهما وليس واحدا منهما على إنفراد؟ وأعنى بهذا أن سياســـة الإسلام لم تكن ترمى إلى إفناء العناصـــر المحكومـــة في كيان الفاتحين العرب، بل كانت سياسة تستهدف السير بالعرب وغير العرب من المسلمين إلى مســـتوى حيـــاة

أفضل وأكمل مما كان عليه الناس في ذلــك، وظلــت الأقليات غير المسلمة تتمتع بكامل حقوقها وشــعائرها وتقاليدها على أساس الولاء لحكومة الإسلام. كذلك لم تكن تتوسل بإدامة سلطان المسلمين على هذه العناصر، بإضعافها وأحاطتها بما ينحط بــه مســتواها العلمــي والإجتماعى، شأن الدول المستبدة التي حكمت من قبل ومن بعد؛ بل على العكس من ذلك، كــان الإســلام يشجع التقدم العلمي والإجتماعى حيثما كان، لا يحول بين الناس وبين ذلك لأي سبب من الأسباب؛ وقد كان العرب في حكمهم(مسلمين) قبل كل شــيء، فكــان الإسلام يسوى بينهم على اختلاف أجناسهم،(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)، ومــؤهلات التميــز بالقدرة والكفاية،حتى أستطاع كثير مــن الفــرس أن يتبوأوا من مراتب الدولة أسماها.

ولا شك أن هذه الخطة كان من شــأنها إفســاح المجال للفرس وغيرهــم للطمــوح إلى إزالــة ملــك العرب(١)بالتسلط على مقدرات الدولة وإقصاء العرب

عن الحكم استنادا إلى أن الإسلام(أمة واحدة) لا ينحصر الحكم في أمة من الأمم الداخلة فيه دون أخرى؛ وقد كان يكون من عوامل دوام ملك(العرب) مدة أطول لوأنهم سلكوا ما سلكه غيرهم من الأمم في حكم شعوبهم المغلوبة بالعنف والشدة والتنكيل واعتبار أنفسهم سادة وهؤلاء أرقاء، ودفعهم إلى طريق الجهل والتأخر والانحطاط. ولكن ــ وكل ملك مهما طال أمده إلى زوال ــ كان يبقى هنالك فرق واحد بين الحالتين: هوأن يخسر تاريخ العرب والإسلام هذه الصفحة الذهبية الناصعة،الفريدة، من الفخار، ويخلف العرب وراءهم صفحة قد تكون أطول عهدا ولكنها صفحة تكون حينئذ كصحائف غيرها من ألام الفاتحة ملطخة بالدماء البريئة، مختومة بخاتم الخراب والدمار، وهوفرق رغم كونه فرقا بين المثل الأعلى والمثل الأدنى لحكم الشعوب، لا يزال اليوم في زاوية مظلمة من التجاهل والإهمال؛ ولوألتفت إليه، لكان له في توجيه

سياسة الأمم وإقرار السلام وإحقاق الحق بين الشعوب أطيب الأثر.

لقد كانت رسالة الإسلام وسياسته جديرة بأن تعد بحق رسالة النور والحرية والسلام، وسياسة العدل والرأفة والإحسان[1]

---

١) المجلة:لوكان العرب مع هذه الخطة حذرين، لما كان من الأعاجم ذوى الأغراض المعادية لهم ما كان،فليس الخطأ ناشئا من خطة المساواة، بل مما رافقها،ورحم الله سيدنا عمر إذ قال:لست بخب والخب لا يخدعني.

٣ــ بعد عهد الراشدين[1]

لقد انتقلت الدولة الإسلامية بعد عهد الخلفاء الثلاثة إلى دور بلغت فيه روح الإسلام وطموح العرب، من التوسع والانتشار والغلب، درجة(الإشباع) فكان(التبلور) الذي تولد عنه ملك معاوية أشبه شيء بنتيجة طبيعية للتطور التدريجي الذي طرأ على أفكار العرب من مخالتطهم للأمم في اختيار نظام صالح للحكم، فقد كان قرب العهد برسول الله، وحاجة الإسلام إلى صيانة نفسه من الخطر، وقوة الشخصية التي أمتاز بها الخليفة الأول والثاني،وانكماش كثير من ذوى الطموح وأنصار(الملكية) أمثال(معاوية بن أبي سفيان)لقرب العهد بما كان لهم في جاهليتهم من سابقة في الصد عن الإسلام ــ كل هذه أسباب كانت تزيد

١) المجلة: إنها من وحى هداية الله الذي أنزل في صاحب الرسالة قوله: " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " كما رسم لعلاقة الأمم والشعوب بعضها ببعض، خطة الهداية بقوله تعالى: " وكذلك جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، أن أكرمكم عند الله اتقاكم "

في تماسك دولة الإسلام الفتية وتستوعب جهود المسلمين ونشاطهم وتشغلهم عن الغايات الفريدة، فلما بلغ المسلمون من الفتح والأمن على دينهم وأنفسهم

هذا المبلغ، بدأت الرؤوس تشرئب إلى الرياسة، والمطامح تقوى في قلوب الرجال، وقد كانت هذه الشخصيات التي بقيت في الميدان بعد أبي بكر وعمر لا تخلومن جوانب ضعف: إما لين ورأفة فوق ما يستوجبه الحزم، وإما هوى في النفس إلى زينة الحياة الدنيا،وكانت إلى هذا، من التقارب في القوة بحيث لم يكن من السهل اجتماع الأمة لأول وهلة على واحد منهم كما كان الشأن في اختيار الخلفاء الثلاثة الأولين: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أضف إلى هذا أنه قد بدأ في هذا الحين يظهر على العرب، خاصتهم وعامتهم، إثر الاتصال بمدينة الفرس والروم،وما رأوا من بذخ الملك وترف الحضارة ولذة العيش في كشف الخصب بعد الجدب والسعة بعد الضيق؛ ولقد تقدم القول بأن

فكرة(الملك) كانت سابقة لظهور الإسلام في سادة قريش مع إيهامها، وقد شغلوا بظهوره عن متابعة السعي لتحقيق هذه الفكرة التي لم تكن دار الندوة وحصر سدانة الكعبة في قريش، إلا تمهيدا لها.

فلما أرتحل رسول الله ﷺ، وخلا الميدان لغير(النبوة)، ثم أنقضى واجب الدعوة لدين الله بتلك الفتوح المظفرة،ثم ذهب من أصحاب النفوذ في الأمة من يحملها على الطريق فتنقاد له طائعة راضية، أصبح المحيط مهيئا صالحا لتنبت(مأساة عثمان) تلك الفتنة التي أورثت المسلمين حسرة، مرارتها لا تزال في أفواههم إلى اليوم.

وكان من جرائرها الانتقال في الحكم إلى ملك عضوض.

كان هذا الانقلاب في الواقع تحقيقا لذلك الأمل الذي انطوت عليه صدور بنى أمية من قبل الإسلام، وقد جاءهم هذا الدين فصرفهم عنه حينا ثم يسر لهم الأسباب حين تمت شرائطه وكملت عدته، ولم يكن

هذا الانقلاب إلا كنتيجة لاتجاه ميل الخاصة وأكثر العامة من العرب، إلى التشبه بملك الفرس والروم في الأخذ بأسباب الترف ومظاهر الفخامة والعظمة،ليفاخروا —(على عادتهم الموروثة)— ملك غيرهم من الأمم؛ فما كاد يتم لداهية قريش معاوية، هذا الأمل ويحمل العرب على بيعة الملك لولده يزيد، بالوعد والوعيد، حتى أخذت حياة العرب أومدينة الإسلام تورق ثم تثمر مستمدة غذاءها من هذه التربة الخصبة من مستقر الخلافة الجديد في الشام،متأثرة في ذلك بمظاهر المدينة القائمة في فارس ومصر وغيرها من بلاد الروم.

مدينة الإسلام
تفاعل المدنيات بأصول الإسلام

كان موقف العرب المسـلمين مـن المدينـة أول عهدهم بالفتح موقف الزاهد المنقبض، الـذي يـري الفضل في البساطة، والقوة في الحق، والعزة في التواضع، و(الخير كل الخير في رضى الله. كذلك وجد عمر أبـا عبيدة ـ(حين أقبل عليه في بيت المقدس)ـ يتوسـد درعه وينام على الأرض، وكان خليفة الإسلام نفسه قد قطع الطريق من الحجاز يتناوب الركوب علـى ناقتـه هووخادمه؛ وكذلك كان شأن غيرهما من الأمـراء في حياتهم الخاصة؛ فإن قصدوا إلى شيء من مظاهر العظمة والفخامة وهم في بلاد الفتح، فلما كان من اعتياد أهل البلاد على ألا يروا سلطان الحكم إلا محاطا بأكبر قسط من الفخامة والروعة، فتجرده منهما في عهد العرب قد يكسب حكم المسلمين في قلوبهم شيئا من المهانة، وبهذا

العذر أعتذر معاوية حين أسرع منذ حيـاة عمـر رضي الله عنه وأحاط نفسه من مظاهر الملك بقسط كبير.

وقد كانت جنود الفتح أبدا في عزلة عـن غمـار الجماهير حتي أسـتقر السـلام فيمـا وراء خطـوط القتال،ومصرت الأمصار، وأمها مـن سـادة قـريش واستوطنوها بعد وفاة الفاروق ــ(وكان قد منعهم من ذلك في حياته)ــ فأزداد اتصال الجند وغير الجند مـن العرب بحياة المدن وألفوا رغد العيش فبدأوا يتنـاولون أطايب العيش ويقبلون في شيء من التقية والحذر علـى هذه الألوان الجديدة للحياة في ظلال الخصب والدعـة والسيادة، بعيدا عن بوادي الحجاز وشمسها المحرقة.

هنا موقف جدير بالتقييد. ذلك أن اعتزاز العـرب بالإسلام والنصر، مع ما كانوا عليه من بداوة وخشونة عيش، قابله أهل البلاد المفتوحة خاصة الفرس الـذين كانوا إلي عهد قريب أصحاب دولـة وسـيادة علـى العرب،بالاعتزاز والإدلاء بما لهم من سـبق إلي المدنيـة وتفوق في ميدان الصناعة ونظام الحكم، ممـا لا يتـأثر

بأحكام الإسلام إلا قليلا؛ وقد كانت سيادة الفرس قبل الفتح مميزة لهم عن بقية الشعوب الأخرى التي أخضعها الإسلام لحكمه، وكانت قبل ذلك خاضعة لاستعباد الروم. فلم يجد الفرس المسلمون مانعا في مبادىء الإسلام يمنعهم من إعادة دولتهم واسترداد سيادتهم، على أساس الإسلام؛ وهوما أضمروه فعلا، ووقفوا إليه حين شادوا ملك العباسيين فيما بعد. وقد كان الصدر الأول من حكم الأمويين فترة تفاعل بين أحكام الإسلام وهذه المدنية في حواضر بلاد الفتح كانت نتيجة أن قضى الإسلام على أكثر العادات والتقاليد المخالفة لأحكامه وبقي الأصلح،وكان الحكم في هذا التمحيص والقدوة التي تمثل بها سائر العرب وأهل البلاد هم الخلفاء والأمراء، سواء في ذلك ما كان متصلا بأصول الحكم ونظام الدولة، أوبحياة الفرد والأسرة، أوبحياة الشعب في الجملة؛ فعهد الأمويين في الحقيقة لم يكن سوي عهد نظر وفحص وتعرف لما يصلح لدولة الإسلام وملك العرب من هذه(النماذج) المعروضة

لأنظارهم من مدنيات الأمم المجاورة وأخصها الفـــرس؛ وكان أهم نقص شعر به الأمويون في بنـــاء دولتـــهم هو"التنظيم الإداري" الذي لم يضع له الخلفاء الراشدون إلا أبسط الأسس " **ومناظرة أهل الأديان**" الأخرى في سبيل الدعوة إلي الإسلام؛ فكان من أهم مظاهر هـــذا الدور التوسع التدريجي في التشكيلات الإدارية لدولـــة الإسلام والبدء في وضع أصول(**علوم الآلـــة**) خادمـــة لأغراض القرآن ودين الإسلام ولغة العرب، ومحاولـــة الاستفادة من مناهج الفرس والروم وقدماء اليونـــان في الجدل والتـــأليف والاســـتنتاج. ولم يخلـــص "**الفـــن الإسلامي**" لهذا العهد من طابع التقليـــد إلا في أواخـــر دولة الأمويين؛ وقد ظل هذا التأثير من العرب بمدينـــة الفرس وعلوم الهند واليونان يؤتي ثمره ببطء، لأن العرب كانوا في كل ذلك التقليد والاقتباس على عادتهم البدوية الإسلامية في الطعام يجتبون التخمة ويحرصـــون علـــى إجادة هضم ما يتناولون؛ وكان الحرص سبباً في ظهور طابع(**العروبة**) على منتجات "**الفن الأموي**" بجانـــب

طابع التقليد الذي ذكرنا؛ فلما كان أخر عهد الأمويين، بلغ تأثر العرب بالمدينة، وتأثر المدنية بالإسلام حد التعادل؛ بمعني أن مدينة الفرس قد شذبت وانضوت في كنف الإسلام قوية السبك محكمة النظام خالصة المادة،وأن مبادىء الإسلام قد تمددت واتسعت بالشرح والبحث والتحليل حتى طابقت المدنية وأخضعت مطالبها ولابستها.

٥ــ استقلال المدينة الإسلامية

كان قيام الدولة العباسية هوالمظهر الممثل لــزوال الفروق الجنسية بين العرب الفاتحين والشعوب الخاضعة لحكمهم التي أفلح الإسلام في اجتذابها؛ فقد أضــمحل شعور العرب بعزة الفتح، وتناسي غير العرب(في ظــل الأخوة والمساواة الإسلامية) ذلة الانكسار، وكأنما غدا الجميع يعدون أنفسهم بعضا من كيان دولة الإسلام،(لا فضل فيها لعربي على أعجمي إلا بــالتقوى) ولم تعــد وجهة المدنية وغايتها مجد العرب بل مجد الإسلام؛ فقيام الدولة العباسية هوالبداية الصــحيحة لــبروز "المدنيــة الإسلامية" بطابعها الخاص في العلم والحكم والصناعة، وفي حياة المجتمع.وقد ظل تقدم هذه المدنية في ســبيل النمووالاكتمال مستمرا مستقلا منذ ذلــك الحــين في أدواره التالية في عهد الفاطميين ودولة الأندلس، حــتى أدرك الاضمحلال والانحلال حكم المسلمين، بالانقسام والغفلة وشيوع عوامل الفساد الناشئة من الإغــراق في الترف والملذات؛ ومعني الاستقلال هنا إنه أصبح يمثــل

مزايا الفكر(الإسلامي) سواء كان عربيا أوفارسيا، اصبح تمثيل، وأصبح"الفن الإسلامي" ذا خصائص ومميزات بارزة ليست لغيره، وأهم هذه الخصائص إثبات الفكرة لا تخليدها؛ وهوفرق جوهري بينها وبين مدنيات الأمم الأخرى من فراعنة ويونان ورومان وغيرهم، وهذا الفرق في الحقيقة هوأثر من أثار العنصر العربي في الدولة.

كان العرب ـ أو المسلمون على العموم ـ يكتفون بإبراز الفكرة وإثباتها ولوعلى قطعة من الطين أوقصاصة من الورق قد لا يدوم الاحتفاظ بها بعد ذلك أكثر من أيام كذلك كانت قصور بغداد الباذخة عبارة عن لبن تكسوه حلة رائعة من النقش والتلوين والزخرف البديع؛وكان غيرهم يحرص على(تخليد) الفكرة في جلاميد الصخر وضخم البنيان متوسلا بصلابة المادة وأرصاد السحر كما يري ذلك ماثلا في أهرام مصر وتماثيل أشور ومسارح الرومان،وهياكل الهند. فغاية الفن عند العرب صقل ملكات(صاحب

الفن) والإبداع والابتكار دون حرص كبير على حفظ ثمرة هذا الجهد لمن يأتي من بعد،وكانت غاية غيرهم من الأمم السابقة توريث ما صنعوا لمن بعدهم من الأجيال،ومرجع هذه الظاهرة في " الفن الإسلامي " هوطبيعة العنصر العربي من الاعتماد على الذاكرة أكثر من اعتمادهم على النظر وإلي الروح الإسلامية التي تكره التعلق بتقديس المادة ولا تنظر إلي محدثات المدنية إلا نظرها إلي متاع مؤقت وشيك الزوال؛ لهذا لم يبق من مدينة العرب في العراق وفي غيره من بلاد الإسلام على العموم إلا القليل الذي أخطأته يد العدوان على توالي الزمان،وأكثر ما بقي من ذلك هوما كان من قبيل " المساجد والأضرحة " لحرمتها، أوما كان من قبيل " الآنية والمصنوعات الخفيفة " الدقيقة التي تطلب لقيمتها المادية ــ نحاسا أوذهبا أوفضة ــ أكثر مما تطلب لقيمتها الفنية.

هذا التقدم المادي في الصناعة والفن كان يسير جنبا إلي جنب متساندا مع التقدم العلمي والاجتماعي، خاضعا لقانون الضرورة والتدرج. فلا زال نهي الدين واعتزاز العرب — مهما يكون ضئيلا — بالسيادة وارتباط الخلفاء برضي أهل الحجاز وبقية من تمسكوا بأثر السلف الصالح، حائلا دون كل ابتداع وتجديد إلا أن يكون صالحا للاقتباس دون حرج في الدين، أوإضعاف لروح السيادة في العرب، وإثارة لغضب أهل مكة والحجاز؛ وقد استمر الحال على هذا المنوال إلى أواسط أيام العباسيين؛ فلما غلب الفرس ثم الترك على مقدرات الدولة وانتقل الناس من الانشغال بالدين والتقييد بأوامره ونواهيه إلي التساهل والانشغال بمطالب الملك وزخرف الحياة، خف وازع الدين في توجيه حياة الناس، ولم يعد"لأهل الحجاز" الأثر السابق في إقامة شئون الدولة على نهج "الخلفاء الراشدين"، وتلاشت الفروق بين العرب الحاكمين وغير العرب من المحكومين، فانحصر التفاضل والتفاخر بين الناس في

الأخذ بأوفر نصيب من البذخ والترف،وقد فتح لهم علماء السوء باب الفتوى على مصراعيه فتهافتوا على الملذات دون وقوف عند حد سوى حد الدرهم والدينار، وكان ذلك فاتحة انحلال دولة المسلمين في الشرق كما كانت البوادر عينها فاتحة انحلال دولة الأندلس في الغرب.

خاتمة

لقد خرج المسلمون من جزيرتهم دفاعا عن العقيدة والشرف وجهادا في سبيل الله، أمة بلغت الغاية من صدق الإيمان بساطة تترجم في الفن عن إشراقة النفس العربية المسلمة الفاتحة، حتى أن وفد الروم حين زار المسجد الأموي مستكشفا خير هذا الفتح وأمده، فإنه قد أيقن من مشاهدة هذا البناء أنه الفتح المخلد، وليس نتيجة موجة قذفت بها الصحراء من جوع ومطمع إلى هذا الفتح، وإنما الباعث على ذلك عقيدة مؤمنة تطلب المجد المخلد استعمارا لأرض الله وإصلاحها في الحياة.

وكذلك تميزت زخرفة الجامع الأموي بالفسيفساء إن كانت صورها صور المدن الطبيعية دون أن تتضمن شيئا من صور ذوات الروح التي نهى الإسلام عن مضاهاة خلق الله فيها فجاءت بحيوية تبرز جمال الطبيعة والعمران بغير تصوير الإنسان أوالحيوان. لقد برز الفن

الأموي جليا منذ فجره الأول إسلاميا كما تجلت بذلك عناصر الحضارة التي تميز بها هذا العصر على رغم قرب عهده بالجاهلية وضيق أجله في ديار الشام. وقوة اليقين والثقة في أحكم الحاكمين،خرجوا وقد خلق منهم الإسلام وحدة متماسكة كسبيكة الفولاذ بعد التفرق والشتات، وأنار بصائرهم وحرر عقولهم فأشرفوا على دنيا المدنية في ذلك الحين خاوية أيديهم إلا من السيف والدرع،حافية أقدامهم إلا من نعل من جلد السبعير. ولكن بأيدي عفة وأقدام صدق وقلوب طهرها الإيمان من دنس المطامع ونزوات الشيطان. وقد أقبلت عليهم الدنيا كأبهج ما تكون فكانوا أقوى، وكانوا أجل وأسمى ما كانوا حين طووا كشحا، ونبذوا زخرفها، نبذ النواة؛ وقد أحتسب الله لتلك الفئة السابقة المباركة فضلها وعفتها، فرجعت إلى ربها راضية مرضية بعد أن وطدت للإسلام ركنا شامخا ظل راسخا رغم أنف الزمان،ثم خلف من بعدهم خلف لانت قلوبهم لطيبات الحياة وأطمانت جنوبهم لخفض العيش، في ظل من طاعة الله

ورضوانه،فأصابوا منها وأصابت منـــهم مـــا شـــاء الله وخلفوها وقد أكتسي ذلك البنيان الشامخ بما أحل الله من زينة ومتاع، ثم خلف من بعدهم خلف " أضـــاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات " وغلب عليهم شيطان النفس فأضاعوا ما خلف الأجداد، و لم يورثوا غـــير الحســـرة للأحفاد.

وها قد مضى على هذه الأمة قرن أوبعض قـــرن وهى تنقلب في مهاوي الضعف والهوان حـــتى غـــدت مطية سهلة القياد للراكبين، وقد أذن الله لها أن تفيق من غشيتها، وتتبين طريقها، وتختار رجالها، ويكـــون لهـــا الرأي في تقرير مصيرها، وتعيين مستقبلها، وهى إذ تقبل على هذا تقبل عليه وقد لقنتها الأيام من مر العظات ما لا يمكن أن تنساه. فإن هي أضافت إلى تجـــارب هـــذا الماضي القريب ميراثها الثمين من تجارب ذلك الماضـــي الزاهر البعيد، وأحسنت الانتفاع يهما، كـــان ذلـــك رضوانا من الله جديرا أن يلغها أقصى مراميهـــا مـــن الحرية والعزة والسؤدد في معترك الحياة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة: ١٠٥


المحتويات

المحتويات

مقدمة الناشر ٧
مقدمة الطبعة الثانية........................... ١١
تقديم الكتاب لأحمد مظهر العظمةرئيس تحرير مجلة التمدن الإسلامي ١٧
بشـــائر الإســـلام ورســـالة الـــنبي عليـــه الصـــلاة والسلام........................... ٢١
كلمة في نشوء الأديان........................... ٢٤
حاجة العالم إلى الإصلاح........................... ٢٧
خصائص الأمة المختارة لهذا الإصلاح........................... ٣٣
إعداد العرب لحمل رسالة الإصلاح........................... ٣٩
الدهشة الأولى لظهور الإسلام........................... ٤٥
أم المؤمنين خديجة........................... ٤٦
أبوبكر الصديق ﷺ ٤٨
عمر بن الخطاب ﷺ........................... ٥٠
خاتمة........................... ٥٧

تقدم الإسلام وسبيل العرب إلى المدنية............ ٥٩
الأمة التي أنجبها الإسلام؛ أثر الإسلام في العرب لعهد رسول الله.............................. ٦١
انتشار الإسلام؛ الدعوة إلى الإسلام بعد رسول الله ﷺ وأسباب الفتح............................. ٦٩
نذير الحرب عند المسلمين........................ ٧٢
الحكم في ظل الإسلام........................... ٧٥
بعد عهد الراشدين............................. ٨٣
مدينة الإسلام؛ تفاعل المدنيات بأصول الإسلام.................................. ٨٧
استقلال المدينة الإسلامية........................ ٩٢
خاتمة.. ٩٧
المحتويات ١٠١


بشائر الإسلام
وتقدمه
Bibliotheca Alexandrina
0917952